الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٩

يوليو - سبتمبر ٢٠٢٣ م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

أ.د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطرفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك
بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربيّة بالجامعة الإسلاميّة

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا–الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السّيد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض
بجامعة القاهرة

أ.د. عبد الله بن عويقل السّلمي
أستاذ النّحو والصّرف
بجامعة الملك عبد العزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب لركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. زكي بن سهو العتيبي
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

أ.د. عبدالرزّاق بن فراج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتّحدة

أ.د. عمر الصّديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية–الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقًا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
	(نفي ما وجب للأول عن الثاني)	
١)	**أدواته وأساليبه النحوية وأبعاده الدلالية** د. محمد بن جزاء بن زقحان الرويس العتيبي	٩
٢)	**ما أجراه النّحاة من الألفاظ مُجرَى القَسَم _ دراسة نحويّة** د. حسان بن نور بن عبد القادر بتوا	٥٥
٣)	**نسبة الشّواهد الشّعرية في كتاب سيبويه** د. أحمد بن عتيق بن راضي الحربي	١٤٥
٤)	**جهودُ عليّ بن سلطان الحَكَميّ في خدمة اللّغة العربيّة** د. علي بن سعيد العواجي	٢٢٣
٥)	**صور من تكلف النحويين في شرح التسهيل لابن مالك** **دراسة تطبيقية تحليلية** د. عبد الله بن عثمان بن محمد اليتيمي	٢٨٣
٦)	**المجانسة الصوتية في ظاهرة الإعراب بالحروف** د. محمود رجاء حسن نوافلة د. رائدة علي مراشدة	٣٣١
٧)	**وظيفة الاعتبار في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ** سعيد بن عبد الله القرني	٣٧١
٨)	**المجنون ناقداً، النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي** **القصيبي _دراسة استقرائية تحليلية** د. صالح بن عويد الحربي	٤٣٥

م	البحث	الصفحة
٩)	**راهِنُ الأدب الرّقمي في المملكة العربيّة السّعوديّة** **دراسةٌ وصفيّة تحليليّة** د. أحمد بن عيسى الهلالي	٤٨١
١٠)	**جائحةُ كورونا في رواية "سِيرة حُمَّى"** **مقاربة إيكولوجية** أمل بنت محيسن بن عواض القثامي العتيبي	٥٣٥
١١)	**الاستغراب في الرواية السعودية :** **رواية العصفورية أنموذجا** د. عادل بن مصيلح المظيبري	٥٩٩
١٢)	**الصُّورة البصريَّة في القصَّة القصيرة** **بشرى خلفان أنموذجاً** د. شيمة بنت محمد فالح الشمري	٦٤٧
١٣)	**تَحَوُّلاتُ التَّجْرِبةِ الشِّعْرِيَّةِ فِي العُنْوَانِ وَالأَنَا عِنْدَ الشَّاعِرِ مُحَمَّدٍ الشَّدَوِيِّ** د. فهد بن مرسي بن محمد البقمي	٦٧٩
١٤)	**التداخل بين المذكرات والرحلة في كتاب "من ذكريات مسافر "لمحمد عمر توفيق "مقاربة إنشائية"** د. طنف بن صقر العتيبي	٧٣٣
١٥)	**الفراغاتُ النّصّيّة في ضوء نظريّة التّلقّي** **دراسةٌ تطبيقيّة في شعر محمّد الثّبيتي** د. ولاء قسم السيد بشير عقيد	٧٨٣

التداخل بين المذكرات والرحلة
في كتاب "من ذكريات مسافر "لمحمد عمر توفيق
"مقاربة إنشائية"

The Overlap Between the Diaries and the Journey in the Book "From the Memories of a Traveler" by Muhammad Omar Tawfiq
Narrative approach

د. طنف بن صقر العتيبي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة المجمعة

البريد الإلكتروني: t.alotibe@mu.edu.sa

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة رحلات محمد عمر توفيق في كتاب "من ذكريات مسافر" بوصفه خطاباً رحلياً يمكن أن ينفتح على غيره من الخطابات، وتحاول الإجابة–من خلاله– على تساؤلات قد يطرحها المتلقي منها: هل يمكن للرحلة أن تتضمن جنساً أدبياً آخر ضمن إطارها العام؟ وهل هناك خصائص تربط بين هذا الإطار الحاضن والإطار المضمّن؟ ثم ما مقومات هذا الجنس أو ذاك؟ وما سماته السردية؟ ومن هنا فإن هذه الدراسة تبرز نصوص محمد عمر توفيق في هذا الكتاب بوصفه نصوصاً يمكن أن تثير إشكالاً حول تحديدها الأجناسي. فكان لزاماً على الباحث الوقوف على قضية التداخل الأجناسي، ودراسة البنية السردية، والنظر في وضعية الخطاب السردي والجوانب الذاتية والتاريخية والأدبية، وهي محاور الدراسة التي قامت عليها.

كلمات مفتاحية: محمد عمر توفيق، رحلة، مذكرات، خطاب سردي، ذاتية.

Abstract

This study is aimed at the perusal of Muhammad Omar Tawfiq's journeys as a nomadic speech that is open to other speech genres. It is also an attempt to answer some questions that are raised by the readers such as:

Can the journey include another literary genre within its general framework? Are there characteristics that link this incubating framework with the inline framework? Then what are the fundamentals of both genres? And what are their narrative features? Hence, this study highlights the texts of Muhammad Omar Tawfiq in this book as texts that could raise a problem about their gender identification. It was necessary for the researcher to stand on the issue of gender overlap, study the narrative structure, and consider the status of the narrative discourse and the subjective, historical and literary aspects, which are the axes of the study on which it was based.

Keywords: Muhammad Omar Tawfiq, journey, Diaries, narrative speech, subjectivism.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإنّ تعدد القراءات والرؤى والمناهج وتداخلها وتمازجها في بعض الجوانب يعود ـ أحياناً ـ إلى تفاعل الدرس الأدبي والنقدي في محيطه الثقافي والسياسي والفلسفي والعلمي، والواقع أن الدراسات الأدبية الحديثة قد اتجهت إلى البحث عن أصداء التفاعل أو التداخل بين النصوص الأدبية. وإذا كان هذا الأمر يجعل بعض النصوص يدخل في صراعات مستمرة بين عدد من الأجناس الأدبية، فإنه أيضاً علامة واضحة على حيوية هذا الجنس أو ذاك، وإمكانية تفاعله مع غيره من الأجناس، وتفاعله أيضاً مع كل جديد من العلوم اللسانية والإنسانية المختلفة. ولكن هل يعني الوعي بالاختلافات الجوهرية بين تلك الأجناس استحالة البحث في الخصائص النصية، والسمات المضمونية التي تجعلها أجناساً مقاربة؟، وهل يعني أن كل منجزٍ أدبيٍ يمكن أن يكون مستقلاً بذاته، بحيث لا يتيح لنا النظر في إمكانية التحاور والتمازج بينه وبين غيره؟ لكي نجيب عن ذلك لا بد لنا من البحث بدقة في العلاقة بين الأجناس الأدبية. وإذا كان من الضروري أن نتبين هذه الدقة، فإنه يتعين علينا أن نقف على خصائص الجنس الأدبي الذي يمكن أن يحتضن غيره من الأجناس، وقد آثرت البحث في خصائص المذكرات وطرائق تشكلها ضمن خطاب الرحلة العام.

لقد آثر بعض الباحثين أن يتتبعوا الدلالات اللفظية والمعنوية لعبارة مذكرات، وقصارى ما وجدوه بعض المعاني الدالة على بعض الكتابات المرجعية والوقائعية، خاصة إذا افترضنا أن المذكرات جنس أدبي مستقل بذاته ينقل ما وقع فعلاً، ويلتزم

الصدق والدقة ضمن ميثاق مرجعي مُعلنٌ عنه في مستهل السرد[١]. ومن هنا فإن كتابة المذكرات تتطلب من الكاتب التركيز على الذات وعلى الآخر من حولها وعلاقتها به.

وإذا رجعنا إلى الدراسات التي تناولت البحث في الأجناس الأدبية ألفينا أنها تقع أحيانا في الخلط بين المذكرات والسيرة الذاتية التي يكون التطابق فيها بين المؤلف والسارد والشخصية واضحاً[٢]. ولما كانت كتابة المذكرات تُحتم على السارد أحيانا الجمع بين السرد الوقائعي وسرد جوانب من حياة الكاتب، فإننا نجد نصوصاً من السيرة الذاتية في الآداب الأوربية كُتِبت تحت عنوان المذكرات[٣]. وهكذا يمكن أن يكون مصطلح المذكرات جامعاً بين المذكرات والسيرة الذاتية من حيث تناول حياة الذات من جهة، ومن حيث تناول موضوعات أخرى متصلة بعلاقات الذات الكاتبة مع غيرها. ولذلك فإننا نجد من الطبيعي أن تثير بعض النصوص الأدبية الكثير من الخلاف والجدل بين القُرّاء والنقاد حول مقوماتها النصية وخصائصها الأجناسية، أو صلتها بحياة المؤلف وعلاقاته ومواقفه. "غير أن هذا الجدل أو الخلاف قد يكون متأثراً بجانب كبير بما يقوله المؤلف عن نصه تأويلاً أو تحديداً أجناسيا"[٤].

(١) ينظر: محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، ٢٠١٠م، ص ٣٨٠.

(٢) ينظر: فيليب لوجون، السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) ، تر: عمر حلي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٤٢.

(٣) ينظر: محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص ٣٨٠.

٤ بنخود، نور الدين أحمد، الخطاب الترسلي في النص الرحلي، قراءة في رواية أديب لطه حسين، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، عدد ٤٥، شوال ٢٠١٧م، ص ٢٩٣.

ولعل كتاب محمد عمر توفيق[(١)]" من ذكريات مسافر" من الكتب التي أثّر قول المؤلف في مسار قراءتها النقدية، وإن كانت توهم من خلال محتوى الكتاب أنها تنتمي إلى جنس الرحلة. غير أن حديث محمد عمر توفيق في مستهل كتابه ينقلنا إلى الاضطراب الأجناسي لتلك النصوص، ويجعلنا نبحث أكثر عن مقوماتها النصية؛ إذ يقول: **"وإذا كانت صفحات الكتيب تروي وتؤرخ وقائع الماضي، سواء ظهرت فيه أم بعده، فإن ما تحدثت عنه شيء من انطباعاتي خلال (أيام في أسمراء)(...) لكن الصديق محمد سعيد طيب(...) سألني أن تتولى مؤسسة تهامة التي يديرها نشر(أيام في أسمراء).ثم استطرد لأيام أخرى قضيتها في بلاد المارك والقولدر، وتحدثت عن انطباعاتي فيها أو في معظمها على صفحات البلاد في باب "اليوميات" أو في باب "ذكرى"(...)كما استطرد الصديق إلى ما نشرته بعد ذلك(...)من ذكريات بين الغرب والشرق منذ حين"**[(٢)].

وقد اخترت كتاب " من ذكريات مسافر لمحمد عمر توفيق **للأسباب الآتية:**

١-التداخل الواضح بين الرحلة والمذكرات فيه.

٢- ظهور الجانب الذاتي في هذه المدونة.

---

(١) محمد عمر توفيق، كاتب وشاعر سعودي، ولد في مكة عام ١٣٣٧هـ، وتوفي عام ١٤١٤هـ، وقد اشتهر بكتاباته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات عن بعض الرحلات التي قام بها، عُين وزيراً للمواصلات، ثم وزيراً للحج والأوقاف بالنيابة. له العديد من الأعمال ومن أبرزها: (الزوجة والصديق، وستة وأربعون يوماً في المستشفى، وطه حسين والشيخان). ينظر: مجموعة باحثين، قاموس الأدب الأدباء في المملكة العربية السعودية، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٥هـ، ١/١٧١.

(٢) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ط١، دار تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١/٩٨.

٣- قدرة الكاتب على المشاهدة والتدوين بدقة.

وتهدف هذه الدراسة إلى قراءة الوقوف على الحدود الأجناسية للرحلة والمذكرات، والوقوف على أهم خصائص كل منهما، ومعرفة مدى حضورهما النصي في المدونة المدروسة. وعند البحث في قوائم المكتبات، وفهارس الكتب، والرسائل العلمية، والمجلات العلمية في مكتبات الجامعات السعودية والعربية، لم أقع على ما يطابق عنوان: **التداخل بين المذكرات والرحلة في كتاب "من ذكريات مسافر" لمحمد عمر توفيق"** ولكن هذا لا يعني أن الدارسين للرحلة السعودية قد أغفلوا هذا الجانب، غير أنهم في الوقت عينه لم يتعرّضوا لقضية التداخل الأجناسي، **وأشير بهذا الخصوص إلى أبرز تلك الدراسات:**

-دراسة محمود رداوي، الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر، ط١، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ولم يتطرق الباحث إلى موضوع المذكرات، وإنما جاء ذكره لرحلات محمد عمر توفيق في سياق حديثه عن الرحلات السعودية.

- دراسة عبد الله حامد، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، ط١، نادي أبها الأدبي، ١٤٢١هـ. وقد نال الباحث بها درجة الماجستير في الأدب العربي، غير أنه لم يخصص محمد عمر توفيق بدراسة مستقلة، ولم يتطرق إلى قضية التداخل بين الرحلة والمذكرات، وإنما اهتم بالخطاب الرحلي لدى عدد من الكتاب السعوديين.

وستعتمد الدراسة على **المنهج الإنشائي** عند تلمس أثر الجانب السردي في الرحلة والمذكرات بوصفهما خطابين سرديين يشتغل فيهما الكاتب على نظام مخصوص من الأعمال، وتقدم فيهما التقنيات السردية تقديماً خاصاً؛ إذ تظهر في هذه

البنية الشخصيات والأحداث والفضاء. وسأفيد في هذه الدراسة من التجارب والدراسات الأجنبية المهتمة بإنشائية الخطاب السردي، وبالعلاقات التي تقود إلى النظر في أبحاث الإنشائيين المتعلقة بخطاب الحكاية؛ في دراسة أوضاع الراوي وصلته بالسرد، ووضعية الخطاب السردي عموماً. ومن هنا فقد قسمت البحث **ثلاثة أقسام** هي:

١- التداخل الأجناسي بين الرحلة والمذكرات.

٢- البنية السردية وموقع المذكرات.

٣- وضعية الخطاب السردي.

وإذا كانت هذه النصوص تدل في ظاهرها على أنها رحلات قام بها المؤلف في مرحلة من حياته، ودوّنها ثم نشرها بين دفتي كتاب، فإننا نعد أن المذكرات من أهم المقومات النصية التي تقوم عليها نصوص هذه المدونة. ونعد أيضاً أن قراءة هذه الرحلات من زاوية التداخل الأجناسي تقتضي قدراً من الرؤية الواسعة التي تُمكِن القارئ من تتبع النصوص المتداخلة واستيعاب دلالاتها في سياق الرحلة، وأنّ ما تنسجه نصوص تلك الرحلات من تجاذب مع نصوص أخرى يدخلها في علاقة حوارية معها ويُخضِعها لسياق غير سياقها. ولعل هذا يقودنا إلى تحديد ملامح هذا الضرب المضمن والكشف عن موقعه في الخطاب الرحلي الحاضن ووظائفه السردية؛ ولذلك سنهتم في فاتحة هذا البحث بتحديد هوية نصوص المدونة المدروسة، وإزالة الحجب المتعلقة بإشكالية تحديدها الأجناسي. وهكذا لن يقتصر عملنا هذا على إضاءة تجربة محمد عمر توفيق الرحلية فحسب، وإنما سنحاول أن نقف على أبرز خصائص المذكرات بوصفها مكوناً من مكونات الخطاب الرحلي.

١- التداخل الأجناسي بين الرحلة والمذكرات:

إن المشروع الذي يخترق الخطاب الرحلي مشروع مشترك يستهله الكاتب

بإيضاح السبب الذي دفعه إلى تدوين هذه الرحلات–كما أشرت آنفاً– وعلى هذا النحو تبدو تلك الرحلات غلافاً لحقيقة هي المذكرات، وكتابة تاريخ الشخصية في علاقتها بالآخر، فهل يعني ذلك أنّ الرحلة هنا غدت قناعاً لأجناسٍ أخرى؟ أو أنّ إطارها العام اتسع ليحوي أجناساً مقاربة لها، ويتداخل معها في أسلوب السرد والعرض؟

لم يكن كتاب "من ذكريات مسافر" لمحمد عمر توفيق هو الوحيد من الأعمال السردية ـ له أو لغيره من الكُتّاب ـ الذي يثير قضية التداخل الأجناسي، وإنما نجد نصوصاً على مستوى الوطن العربي يصعب إنماؤها إلى جنس أدبي بعينه؛ وذلك لأنها تحمل كثيراً من الخصائص المشتركة بين هذا الجنس أو ذاك. غير أننا في الآن نفسه نؤكد على تمايز الخصائص المكونة لكل جنس سردي بحسب الإطار الثقافي الذي يرتبط به، وينشأ فيه(١).

ولئن قامت نصوص محمد عمر توفيق على انعقاد الميثاق الرحلي في أكثرها، وهو قيام الراوي بمهمة السرد والتزامه سرد ما رآه فعلاً وتدوين ما قام به من أعمال، فإن هذا لا يحل إشكالية الرؤية والتحديد الأجناسي، خاصة إذا ما علمنا أنه أطلق عنواناً لكتابه يدل على جنس المذكرات " من ذكريات مسافر"، بالإضافة إلى أنه لم يدون تلك الرحلات في حينها، ولم يعقد العزم على الكتابة في ذلك الوقت عندما بدأ من مكان الانطلاق. يقول: **"واقترح الطيب نشرها جميعا في كتاب موحّد، وأعجبني الاقتراح، رغم ما قد يقال عن فوات الوقت، مما يصدق على نظائرها،**

(١) ينظر: عبدالله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ٣٨٥/١.

أو عن تفاهة الذكريات..."[1].

غير أننا نجد من الباحثين من ذهب إلى أن كتاب" من ذكريات مسافر" يمكن إنماؤه إلى جنس الرحلة، فقد قال محمود ردّاوي في لغة نقدية لا تخلو -أحياناً- من اضطراب واضح في الحدود بين المصطلحات والمفاهيم الأجناسية: " تمثل رحلات محمد عمر توفيق الرحلات الحرة التي يطلق فيها نفسه على سجيتها، ليصور ما يريد، ويعبر عمّا يشاء. رغم أن بعضها كانت تلبية لدعوات رسمية من جهات عالمية. وتكاد تكون رحلاته أطول الرحلات السعودية للبلدان العديدة التي اجتازها وحط الرحال فيها. ومكث فيها الأيام والأسابيع(...) وفي حياته وقفات تستثير كاتب السيرة والترجمة، كما أن بعض مؤلفاته مثل "ستة وأربعون يوما في المستشفى" تجمع فني السيرة الذاتية والرحلات..."[2].

وقد ذهب ردّاوي إلى تحليل شخصية محمد عمر توفيق، وقال: إنه استطاع من خلال رحلاته تلك أن يمدنا بتجارب إنسانية جديدة، وأن يضيف إلى القارئ معارف أخرى، وذلك من خلال حسه القومي والتاريخي في بعض المشاهد التي يراها[3]. وهكذا يبدو جلياً أن ردّاوي في حديثه عن رحلات توفيق يرى أن دراسة النصوص الرحلية لا يمكن أن تقوم إلا على مفارقة التنقل والسفر وإن كان زمن الملفوظ مقدما على زمن التلفظ. ومن هنا فإن الأمر يبدو أكثر تعقيداً في تحديد أجناسية هذه المدونة؛ ذلك أن الرحلة والمذكرات تندرج كل واحدة منهما في منظومة محددة، وإن تداخلتا في بعض السمات والخصائص.

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ٩/١.

(٢) رداوي محمود، الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر، ط١، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٢٩٩.

(٣) ينظر: السابق، ص ص ١٠٣-٢١٨.

وقد بحث عبدالله حامد في هذا الجنس الأدبي وتناول رحلات محمد عمر توفيق، وعده من الذين برزوا في هذا الميدان[١]. وقال إن الرحلة عنده" تمثل فرصة للتأمل وإنعام النظر في الظواهر المختلفة، في محاولة لتفسيرها تارة، أو نقدها تارة، ذلك أن هذا الكاتب يحمل ثقافة تؤهله دائماً لهذه الوقفات الماتعة الشائقة، وتعينه على التحليل بعد الرصد، وتقف خلف هذه الرؤى وتلك التفسيرات دوماً نفس هادئة مغرمة بالتأمل والتحليل منذ بدء ارتحالها"[٢]. ويضيف قائلاً:" فإن لي أن أؤكد أن رحلات محمد عمر توفيق هي مدرسة يتعلم منها المتلقي كيف يتأمل؟ وكيف ينقد؟ وكيف ينتقي لأمته ووطنه؟ بل يكون مثالاً للقدوة الإسلامية الصالحة؟ في أي بلد حلَّ فيه وارتحل عنه"[٣].

ومن خلال هذا الحديث عن رحلات محمد عمر توفيق يتبين لنا غياب العناصر الأجناسية الضرورية مثل الميثاق الرحلي، وميثاق المذكرات الذي يقوم على التطابق بين المؤلف والراوي والشخصية الرئيسة، وتقديم مرحلة من حياة المؤلف تستند على السرد المرجعي في أغلب أحوالها.

وإن كُنّا في الأصل نرى أن بنية السرد في الخطاب الرحلي تقوم على تجربة السفر في أفقها الذاتي، والتأليف بين طرائق الكتابة، وتعدد الموضوعات المتأرجحة بين الواقعي والتخييلي، والتاريخي والجغرافي، وسيرة الذات وسيرة المكان[٤]، فإن هذا لا

(١) عبد الله حامد، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، ط١، نادي أبها الأدبي، ١٤٢١هـ، ص ٣٥.

(٢) السابق، ص ١٧٤.

(٣) السابق، ص ١٧٧.

(٤) ينظر: عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر (مستويات السرد) ، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦م، ص ١١.

يعني انعدام جنس المذكرات وتشكل خصائصه ضمن الخطاب الرحلي العام، خاصة إذا ما علمنا أن المؤلف/ محمد عمر توفيق قد ساق طي السرد الرحلي ما رآه مقوماً من مقومات جنس المذكرات، وأول هذه المقومات تواتر السرد المرجعي وانتظامه داخل الخطاب بشكل يتيح للقارئ الوقوف على مرحلة من حياة الراوي في علاقتها بالذات والآخر. ومن هنا يتبين لنا أن الخطاب الرحلي جنس أدبي يمكن أن يحقق التنوع والانفتاح، ويحقق نسقا تشترك بداخله جملة من النصوص(١).

ولئن استطاع محمد عمر توفيق في كتابه هذا الإمساك بزمام آليات الكتابة في النص الرحلي، كالعنوان الذي يضعه لرحلاته بوصفه العتبة الأولى التي تحاور المتلقي وتشير إلى جنس المسرود(٢)، فإن هذا لا يعدو أن يكون إطاراً يريد أن تندرج فيه قراءة نصوصه تلك، على اعتبار أنها رحلات أنجزها في مرحلة سابقة ورغب في تدوينها لاحقاً. غير أننا إذا تمهلنا قليلاً ونظرنا أكثر في المدونة المدروسة، فإننا نرى بوضوح غياب أهم عنصر من عناصر النص الرحلي، وهو خطاب التقديم وتأطير النص، بما يحمله من مقدمات للنصوص ووعي الكاتب بالكتابة الرحلية(٣). ولعل هذا ينقلنا باستمرار إلى تباين الفترة الزمنية بين زمن الأحداث وزمن السرد، مما أسهم في اهتزاز

(١) ينظر: شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٩.

(٢) ينظر: السابق، ص ١٧١.

(٣) يرى شعيب حليفي أن خطاب التقديم والتأطير عنصر بنائي داخل الخطاب الرحلي، لما يتضمنه من أسس وعناصر تمهيدية لتأطير النص، إضافة إلى أسئلته الخاصة المتعلقة بتحديد الجنس الذي ينتمي إليه، وبعض قضايا الكتابة بالنسبة للمؤلف، بالإضافة إلى أن الوعي بالكتابة في هذا الجنس يمكن أن يسهم في إضاءة النص الرحلي، وإغراء المتلقي بالنص من خلال البيان والتوضيح. ينظر: الرحلة في الأدب العربي، ص ص ١٧١-١٨٨. وهذه العناصر لم تكتمل في كتاب "من ذكريات مسافر".

الإطار العام للحكاية التي يسردها الراوي، فقد قال محمد عمر توفيق عن تدوين رحلاته تلك:" **واقتضى ذلك جهداً طويلاً في مراجعتها وجمع بعضها إلى بعض، وترتيبها على نحو عمّا سبق(...) فلم أجد بداً من حذف أو استبدال كلمة أو عبارة بأخرى**"(١).

وهكذا يبدو جلياً أن الكاتب منذ مستهل السرد يبدي عدم حرصه على تدوينها نصاً رحلياً يعمل على تحقيق حكايته؛ لذا فقد تراجع فعل الرحلة بوصفه عنصراً محكياً يحمل تجربة السفر ويدونها في شكل خطاب مسرود. وبين تباين الفترة الزمنية وعدم حرص الكاتب على تدوين أكثر الأحداث في الوقت المفترض سعت تلك النصوص إلى قلب المعادلة وأخذت من سمات جنسين أدبيين هما: الرحلة والمذكرات؛ لبناء مقاطع سردية متنوعة في مكوناتها وخصائصها المضمونية. ومن هنا فإن هذه البنية النصية الظاهرة التي نراها في مجموعة نصوص محمد عمر توفيق، وانتظام النصوص الرحلية تلك في أقسام وعناوين رئيسة هو الذي ساعد في تشكيل خطاب المذكرات ضمن إطار الخطاب الرحلي فلم يستطع السارد منه فكاكا.

وإذا تمهلنا أكثر ثم أعدنا النظر في تلك الرحلات رأينا أن الكاتب/ توفيق يشير بشكل صريح إلى حضور المذكرات، وأن الأحداث التي يزمع سردها ماهي إلا مذكرات مسافر جاب الديار. مما يدل على أن النصوص التي ستأتي لاحقاً إنما هي وليدة مقصدية واضحة أو مخاتلة. يقول:" **ولقد انتهيت إلى ما انتهيت إليه في الصفحات الآتية تحت ثلاثة عناوين رئيسية هي: أيام في أسمراء، وفي بلاد المارك والقولدر، وبين الشرق والغرب. أما الاسم فقد جعلته آخر عنوان نشرت تحته بعض الذكريات في مجلة اقرأ(المدينة المنورة)، وهو" من ذكريات مسافر"؛ لأنها في**

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر،١/٩.

الواقع ليست كل الذكريات بل شيئاً منها"[1]. ويقول في مستهل تدوينه لرحلة أنجزها من لندن إلى طوكيو: **"تقطع الحديث عن بعض ذكريات رحلاتي(...)ولعل آخرها–وقد تحدثت عنه–أوائل عام(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)من لندن إلى طوكيو عبر ألاسكا في أقصى الشمال. وهي ذكريات لا أهمية لها(...) ولقد سألني أكثر من صديق، وأكثر من قارئ(...) أن أواصل ما انقطع من حديثي عن تلك الذكريات"**[2].

ولعل مدار السرد لاحقاً سيكون على الأحداث التي تعرّض لها الكاتب والأفعال التي أنجزها والأماكن المتنوعة التي زارها وشاهدها، وطبائع الناس وعلاقاته بذلك. ومن هنا كانت نصوص تلك المدونة تُستهل في ظاهرها بالرحلة بوصفها النص الإطار الذي يتراجع كثيراً أو قليلاً لصالح المذكرات؛ ليصبح هذا التضمين وجهاً من وجوه الانتظام السردي في هذه الرحلات، التي لا فكاك لها من تدوين المشاهدات وجمع المعلومات وسرد نوادرها وغريبها وعجيبها وما جرى مجراها. ولعل الكاتب من خلال ذلك يهدف إلى إقناع قارئه بلذائذ الحكايات ومتعة الأقوال والأعمال. ولئن كان ذلك كله ينبئ باستمرار بحضور الخطاب الرحلي، فإنه يؤكد أن خطاب المذكرات متجسد داخل تلك النصوص من خلال حضور الكاتب مؤلفا وراوياً وشخصية فاعلة في الأحداث[3].

وإذا كان الراوي وهو يسرد حكايته يراعي مقتضيات المقام وعلاقة المتلقي

(١) السابق، ١/ ٩.

(٢) السابق، ٢/٥١.

(٣) ينظر: محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص٣٨٠.

بالموضوع ودرجة ارتباطه به[١]، فإن محمد عمر توفيق استطاع الكتابة عن تجربة حقيقية وواقعية عاشها وهو ينتقل من مكان إلى آخر مشاهداً ومدوناً ومستمتعاً بأجواء الرحلة وعوالمها الخاصة. وإذا كانت تلك الرحلات التي نروم دراستها في هذه المدونة تجربة خاصة دونها الكاتب، فإنه قد عمل على تعميمها من خلال تدوينها بين دفتي كتاب؛ حتى إنها أصبحت ملكاً للقارئ العام من حقه الاطلاع عليها. وهنا يمكن أن نتساءل: أين يمكن إدراج هذه الكتابة السردية التي تتداخل فيها الرحلة مع المذكرات؟ وهل يمكن أن نتلقاها على أنها رحلة على غرار الرحلات في الأدب العربي؟ أم أنها مذكرات يمكننا وصفها داخل إطار الرحلة؟ ثم ما سمات هذا الخطاب السردي، سواء أكان رحلة أم مذكرات؟ كل هذه التساؤلات سنجيب عنها عند دراسة البنية السردية لتلك النصوص.

٢– البنية السردية وموقع المذكرات:

إذا كان من الضروري أن نتبيّن بدقة التأثير الأدبي من خلال التجارب التي خاضها محمد عمر توفيق، والرحلات التي أنجزها، فإنه من الضروري أيضاً أن ندرس البنية السردية وموقع المذكرات، خاصة إذا ما علمنا أن علاقة التأثير جلية في تلك النصوص. ونحن لا نروم التبسيط في دراسة هذه البنية السردية في كتاب محمد عمر توفيق" من ذكريات مسافر"، وإنما نصرف همنا إلى الكشف عن موقع المذكرات وضروب العلاقة بين النص الإطار/ الرحلة، والنص المضمّن/ المذكرات. ولعل هذا يحملنا بالضرورة على دراسة البنية السردية لتلك النصوص الرحلية، ومعرفة طرائق انبنائها، وتشكل خطابها العام، وتداخلها مع غيرها من النصوص.

(١) ينظر: زهير محمود عبيدات، سلطة التاريخ (دراسات في الرواية العربية الحديثة)، ط١، فضاءات للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٢م، ص ٨٩.

يقدم لنا كتاب "من ذكريات مسافر" حكاية الشخصية/ توفيق عندما كان يتجول بين بلاد كثيرة، وهذا الكتاب يقع في جزأين، ويحوي-كما أسلفت- ثلاثة أقسام: الأول أيام في أسمرا، والثاني في بلاد المارك والقولدر، الثالث بين الشرق والغرب، ومعظم النصوص الرحلية تلك لا تحمل تواريخ محددة حتى في فواتحها، غير أننا نستطيع أن نتبين بداية زمن الأحداث الذي أشار إليه المؤلف في مقدمة كتابه بقوله:" **في عام ١٣٩٧هـ زرت أسمرا وأمضيت فيها نحو أسبوعين للراحة، لاستطلاع حركة التجارة**"(١). وهذا هو التاريخ الوحيد الذي ظهر في الجزء الأول من رحلات توفيق، ولكنه في الجزء الثاني الذي صدر بعد ست سنوات تنبه إلى قضية التواريخ، وحاول أن يؤرخ لبعض رحلاته، إذ وردت رحلاته محددة بالتاريخ الهجري وأخرى بالتاريخ الميلادي(٢). ولئن كان هذا التوثيق يمكن أن يمثل لبعض التقاليد الرحلية، فإنه في الوقت عينه يمكن أن يشكل أفق الانتظار عند المتلقي، فيرسم له طريقة استقبال النص، بوصفه ملفوظاً يتجاوز حدود التلفظ الرحلي.

ليس كتاب "من ذكريات مسافر" رحلات قام بها الراوي أي المتكلم في السرد فحسب، وإنما هو إلى جانب ذلك مذكرات تبرهن عن حبه للاستطلاع والطموح وإلى السفر والعلاقة بحضارة الآخر. يقول توفيق في مستهل رحلته إلى أسمرا:" **وبدت الجبال تحتنا شهباء وسوداء، إلا أنها في شكل بساط كبير تسير الطائرة فوقه كما**

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر،١/٧.

(٢) يبدو أن محمد عمر توفيق تفطن عند إصدار الجزء الثاني من كتابه" من ذكريات مسافر" إلى قضية التأريخ لتلك الرحلات. لذا نجده في هذا الجزء من الكتاب يحرص في أغلب رحلاته على التقييد الزمني لها، وقد قمت بتحديد الرحلات التي أرخ لها توفيق في الصفحات الآتية: ٢/٣، ٩، ١١، ١٥، ٢٣، ٢٧، ٣٥، ٤١، ٤٦، ٥٧، ٦١، ٧٥، ٧٦، ٨٩، ٩٥، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٤٦.

لو كانت أقل كثيراً من نملة[١]. ويقول أيضاً:" **ثم لم أتردد في الذهاب إلى السوق بملابسي العربية(...) وكان الشارع "بلديا" الوصف الذي يطلق عادة لتمييز الشوراع(...) وثقل انتظاري في الشارع بعدما خُيل إليّ أنني ربما كنت فيه الأبيض رقم١** "[٢].

ومن هنا فإن هذه الرحلات هي حكاية محمد عمر توفيق، فهو محورها الرئيس، خاصة إذا ما علمنا أن الحبكة في تلك الرحلات تقوم على مقاطع ثلاثة كبيرة تتعاقب فيها متغيرات المسار الحدثي الرئيسة:

٢–١– أيام في أسمرا:

ويشمل عدداً من الأحداث التي أنجزها السارد في أسمرا، وهي في الأصل قصة الراوي في تلك البلاد، فهو المحاور الرئيس الذي يتولّى سرد تلك الأحداث. وقد استطاع أن يضع القارئ داخل النص من خلال حديثه المطول عن تلك الذكريات التي قضاها في أسمرا، وتحدث بالتفصيل عن تلك البلاد وما تعرّضت له من استعمار، وعن طبائع الناس وعاداتهم، وتناول المكان ووصفه وصفاً دقيقاً، وتحدث عن مناخها وتقلباتها المختلفة بين شدة البرد شتاء واعتداله صيفاً. ثم ذكر شيئا عن الوافدين من أوربا أو غيرهم إلى أسمرا، وطرائق عيشهم في تلك البلاد. وهكذا استطاع محمد عمر توفيق من خلال هذا السرد المطول أن يفتح مسلكاً في نصه الرحلي يتسلّل من خلاله إلى المذكرات، ولم يرهقه ذلك وإن كان حريصاً في البداية على إلزام قلمه بتقاليد الكتابة الرحلية. فجاء السرد في هذا القسم ذكريات يحكيها الراوي بكل الطرائق متجاوزاً الحدود الفاصلة بين هذا الجنس الأدبي أو ذاك.

(١) السابق، ١٦/١.

(٢) السابق،١٩/١.

٢-٢- في بلاد المارك والقولدر:

وقد خصصه لسرد جملة الأحداث والذكريات التي أنجزها في تلك البلاد، فكان همه الكشف عن حضارة الآخر، وإبراز المواطن التي يمكن أن يثري بها السرد، خاصة في حديثه عن بلاد ألمانيا، فقد استطاع أن يورد جملة من الشخصيات، ويذكر أدوارها وأفعالها ووظائفها وعلاقته بها، وازداد ذلك أكثر في أثناء حديثه عن هولندا، بالإضافة إلى ذلك أن الكاتب سرد جانباً مهما يخص الأوضاع الاقتصادية في تلك البلاد والفرق بينها وبين بلاده، واستطرد كثيراً في وصف عادات الناس وطرائق حياتهم وعيشهم وأعمالهم التي يزاولونها. وهكذا استطاع الكاتب/ توفيق من خلال تلك الأحداث رسم ملامح حياته الخاصة، ونقل تجارب مهمة على وجه الخصوص. ونعتقد أن تلك النصوص التي دونها توفيق في هذا القسم يمكن أن تشكل علاقات بارزة في الأدب الرحلي، وأدب المذكرات السعودي.

٢-٣- بين الشرق والغرب:

وهذا القسم يشمل عددا من الجزء الأول والجزء الثاني كاملاً من كتاب" من ذكريات مسافر" بالرغم من المدة الزمنية التي تمتد بين طبعة الجزأين[١]. وقد تناول محمد عمر توفيق في هذا القسم ملامح من حياته وهو يتنقل بين الشرق والغرب، مورداً ذكرياته في بلاد الهند ولندن وبانكوك وواشنطن ثم طوكيو وهونج كونج وإسكندنافيا وجنيف والبرتغال وإيطاليا والنمسا وغيرها من بلاد الشرق والغرب. وقد أثار الكاتب في هذا القسم عددا من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتحدث عن أنظمة تلك البلاد، وخاصة بلاد أوربا والتقدم والوعي الذي كان يعشيه

(١) صدر الجزء الثاني من ذكريات مسافر سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م عن دار تهامة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

المجتمع الأوربي، كاحترام نظام الدولة الرسمي. بالإضافة إلى سرده لشيء عن صفات المكان والانبهار به وتفاعله معه. ولعله أحيانا يثير مسائل ذات بعد نقدي ورمزي يتوجه بها إلى المجتمع.

إذن جاءت رحلات محمد عمر توفيق في ثلاثة أقسام يحكمها الانسجام في الغالب، وقد هيمن على مسارها الحدثي التدوين لدقائق الأمور، وتفاصيل حياته الخاصة في تلك الفترة، غير أن هذا الانسجام لم يخلُ من تباين واختلاف؛ خاصة فيما يتصل بطبيعة السرد ومسار الراوي الذي شهد تحولات كثيرة نتيجة التنقل والترحال من مكان إلى مكان. ومن هنا فإننا تجاه شخصية تنقلنا إلى الاضطراب الأجناسي وتحديد جنس المكتوب وموقعه من السرد.

وإذا كان السرد نقطة انطلاقٍ لتحليل كل أنماط النثر الأدبي(١)، فإن نصوص تلك الرحلات المتنوعة مكنتنا من الوقوف على حضور الذات الكاتبة في نصها وسردها لمواقف متعددة من تجاربها الحياتية المتصلة قليلاً أو كثيراً بالآخرين، وعليه فإن طريقة التعبير عن النفس والصدق وعدم التحرج من حديث النفس يمكن أن يكون لصالح المذكرات، ويزيد من ذلك أيضاً وعي الكاتب نفسه بحضور هذا الجنس الأدبي؛ إذ يقول:" **كانت لندن وما تزال منطلق رحلاتي إلى جهات شتى، ولا أذكر متى هي على وجه التحديد؟، وهذا غير هام في نظري؛ لأني ما أكتب تاريخاً، بل مجرد ذكريات، وما أكثر ما رحلت منها في حياة الملك عبدالعزيز –رحمه الله– فقد كان يقضي أياماً من وقت لآخر للراحة والاستجمام، وكنت من ضمن قصاده ومحبيه،**

(١) ينظر: الطاهر روابنية، قراءة في التحليل السردي للخطاب، العدد الرابع،، جامعة عنابة، جوان١٩٩٩م ، ص ص ٦، ٧.

لا أكاد أبرح مجلسه إلا إلى مجلسه "[1].

ومن هنا فإن الذات حاضرة في خضّم علاقات اجتماعية وسياسية، ولعل هذا الجانب من أهم خصائص المذكرات ومميزاتها النصية[2]. ولا يخفى على القارئ أن هذا الحضور للذات في بنية السرد دالٌ على وعي الكاتب بنوع هذا المكتوب الذي ينهض على حكاية أقواله وأفعاله الخاصة، وعلاقته مع الآخر. ولـمّا كانت هذه الذات هي الصوت الذي يستغرق كتاب "من ذكريات مسافر"، وجب أن يكون هذا الكتاب الرحم الذي تتناسل من المذكرات، والإطار الذي استوعب صياغتها وانبثق منه خطابها العام.

إن حضور جنس المذكرات في رحلات محمد عمر توفيق من خلال علاقة الشخصية بذاتها وبالآخرين، ينبئ بأن المؤلف لم يقدِّم هذا السرد بوصفه نموذجاً رحلياً خاصاً فحسب- وإن كانت مقومات الخطاب الرحلي قائمة دون شك- وإنما ساقه بوصفه جزءاً من حياة إنسان تعرّض لجملة متنوعة من الأحداث، وتفاعل مع عددٍ غير قليل من الشخصيات، وتنقل بين بلدان مختلفة، فأراد أن ينقل تلك التجارب إلى المتلقي العام. وهذا ما يؤكد لنا في الدراسات السردية أن علاقة الذات بالموضوع يمكن أن تربك السنن المميزة للجنس السردي، فيبدو جلياً وجه من وجوه الكتابة الأدبية؛ فهي تحوّل اللغة الاعتيادية، وتنأى بها بصورة منطقية عن الكلام اليومي[3]. ولعل الأمر مع أجناس القصص المرجعي كالرحلة والمذكرات ونحوهما يبدو أكثر وضوحاً،

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ٥٣/١.

(٢) ينظر: نور الدين بنخود، والتاريخ والتخييل، ط١، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص ١٢٩.

(٣) ينظر: تيري إيغلتون، نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ديب، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، دمشق، ٢٠٠٦م، ص٩.

ذلك أن الميثاق السردي الذي يعقده الكاتب مع القارئ يجعل الهاجس التوثيقي بنداً من بنوده الأساسية أو غرضاً مباشراً في الغالب، لذا لم يغب عن الكاتب/ توفيق جانب التوثيق أو التصوير أو الشهادة لبناء عالمه السردي.

وهكذا نتبين مقومات المذكرات وكيفية اندراجها ضمن متغيرات المسار الحدثي، يقول توفيق:" **هناك رحلات لم أكتب ذكرياتها(...) ولقد بعُد العهد برحلات لعل الجديد منها أقرب إلى دائرة الانفعال على القلم وفي النفس(...) ثم إنني لا أستهدف التاريخ أو أية ذكريات بعينها ممّا قد يكون هو مبتغى من يكتبون رحلاتهم أو بعض من يقرؤونها. إنما أكتب ما يحضرني وإن يكن تافهاً كما يراه من يراه، وقد أُغفِل ذكر الأسماء والأرقام والأيام والأمكنة، وتفاصيل لا أعنّي النفس عادة بها في الحضر والسفر، فأنا لا أدونها أصلاً، أو قد أفعل وأنسى ولا أكاد أجدها في أوراقي عند اللزوم**"(١). فمن خلال هذا الحديث عن الذات اشتغلت المذكرات بوصفها مكوناً يكبح الخطاب الرحلي بنفسٍ يهيمن فيه الحدث بأشكال متنوعة. وأظهر هذا الخطاب مثلما رأينا بأن هذه الطريقة في الكتابة ليست مرآة تعكس مرحلة من حياة الكاتب فحسب ولوناً من ألوان ثقافته، وإنما هي سُجُف متراكمة من الذاتية والأدبية.

وانطلاقاً من هذه الرؤية وهذا الحدس نجد الراوي يبحث عن أشكال تعبيرية لبناء حدود نصه السردي، وإعطاء القارئ العام فرصة للتعرف على هذه النصوص التي دونها على أنها رحلات قام بها. وهكذا يبدو لنا أن فعل القراءة عنصر مهم في

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ٢/ ٣٥.

كل تواصل بين المتلقي والنص الأدبي(١). وبذلك يغدو تخلُّق الجانب السردي، وانتظام بنيته داخل نصوص محمد عمر توفيق شكلاً مخصوصاً يدل على المذكرات التي بدورها تشتغل على الدوام في الشكل والمحتوى. وإذا كان الموضوع الأساس في كتاب "من ذكريات مسافر" ينحصر داخل خطاب الرحلة، فإن خطاب المذكرات هنا يمكن نعته بالموضوع الخاص الذي يُعْتبر تعلّةً للكاتب، ووسيلةً إلى الانفلات من هيمنة الخطاب الرحلي.

ومن هنا ندرك أن القيمة النصية لكتاب "من ذكريات مسافر" تكتسي أهمية مزدوجة، فهي من جهة أولى تمثل جسراً نصياً يمنح الذات الكاتبة وجودها الفعلي وإحساسها بالماضي وانشدادها نحوه، ثم من جهة ثانية تمثل عتبة استراتيجية يتم فيها شروع جنس المذكرات في التخلق والوجود بوصفه خطاباً مضمناً سيتمكن لاحقاً من الانتشار التدريجي طي الخطاب الحاضن/ الرحلة في فضاءي الكتابة والقراءة. وهكذا استند الخطاب الرحلي في كتاب" من ذكريات مسافر" إلى عمل توثيقي كبير ومعقد، ولكن أفلت من سلطة جنس الرحلة مفضلا الاقتراب من جنس المذكرات من خلال إعادة التشكل والتسريد، بل ومن خلال البنية السردية، التي يمكن اعتبارها نظاماً من التواصل وليس مجرد عرض للأحداث(٢)؛ ولذلك جاز لنا أن نرى في كتاب" من ذكريات مسافر" محاولة إبداعية ناضجة تكرّس علاقة نصٍ بنص. ومن هنا فإن تفاعل العلاقات الداخلية لبنيات نصٍ إبداعي يعتبر حصيلة بناء معقد لخطابات ذات قدرة

(١) ينظر: عبدالرحمن التمارة، مرجعيات بناء النص الروائي، ط١، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص٥٨.

(٢) ينظر: بسام قطوس، شعرية الخطاب وانفتاح النص السردي في رواية إميل حبيبي، مجلة أبحاث، جامعة اليرموك، العدد الثاني، ١٩٩٦م، ص ٢٠٠.

على التخفي والتلون والتكيف[١]. فالمذكرات إذن ترعرعت وارتوت من دائرة الرحلة وتجلت أيضاً في ثقافة الكاتب/ توفيق مبكراً منذ مستهل السرد، بل إنها جسدت البعد الجمالي في البنية السردية، وأسهمت في التفاعل مع البنيات الجوهرية لهذا الجنس أو ذاك.

٣– وضعية الخطاب السردي:

الخطاب في أبسط مفاهيمه هو النص، أو تلك الرسالة التي يوجهها المخاطِب إلى المخاطَب، تحمل تلك الرسالة متناً، باختلاف مضمونها، المتنوع والمتعدد. وقد عرَّفه "هاريس" بأنه "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل، تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[٢]. وقد كان للتفاعل بين اللسانيات في مختلف مدارسها واتجاهاتها والنظريات الأدبية وبعض العلوم الإنسانية ذات الصلة بتحليل الخطابات المتنوعة أثرٌ في التداخل بين عدة مصطلحات لعل من أبرزها النص والخطاب[٣]. وهذا التداخل–دون شك– يدفع الباحث إلى تبين علاقة الكتابة بالوضعية التي نشأ النص فيها. فالخطاب إذن " ملفوظ موسوم بخصائص نصية، ولكنه أيضاً تلفظٌ وعمل

(١) ينظر: شعيب حليفي، مرايا التأويل (تفكير في كيفية تجاوز الضوء والعتمة) ، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م، ص ٧.

(٢) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ط١، المركز الثقافي العربي, بيروت، ١٩٩٧م، ص١٧.

(٣) ينظر نور الدين بنخود، فن السيرة في التراث العربي، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧هـ، ص ٢٩٧.

خطابي منجزٌ في مقام معين"[١]. والخطاب الأدبي هو المادة الأدبية التي يقدمها الكاتب ويتلقاها القارئ، وهذه المادة بالضرورة تختلف أدواتها ومكوناتها، منها السرد ومنها الوصف ومنها الحوار[٢].

٣-١ المذكرات ووضعية الخطاب:

إذا كان الخطاب السردي مجالاً رحباً لتجميع أصناف السرد من الأجناس الأدبية الأخرى في العصور المتعاقبة التي تستند على سماتها النصية, وهو –أي الخطاب السردي– على درجة من التنوع والتركيب والتعقيد, ما تجعله أكثر اتصالاً بالواقع وما يحققه من وصف له وتمثيل[٣]، فإننا إذا نظرنا في نصوص محمد عمر توفيق رأينا أنه استطاع أن يُسخِّر المكتوب في تصوير تلك المرحلة التي عاشها في شبابه ودرجة الرؤية التي كشفت عن متغيراتها وصراعاتها، غير أننا لا نحتاج كثيراً إلى دلائل قاطعة بأن المذكرات مندرجة ضمن وضعية الخطاب الرحلي، فالمذكرات نفسها قد أكدت غير مرة حضورها وتناثرها في تضاعيف الخطاب المسرود، وتفاصيل المسار الحدثي. يقول محمد عمر توفيق في مستهل رحلته إلى ميامي:" **لقد درجت على تدوين ما تيسر من ذكرياتي بلغة الرمز والإشارة، حتى إذا وجدت الفرصة المناسبة لكتابتها فعلت، فما أتقيد بالتاريخ أو بأي تنظيم معين للذكريات. وعلى سبيل المثال هذه الرحلة التي كانت في أواخر عام ١٤٠١هـ وبداية عام ١٤٠٢هـ. وكان موعد**

(١) محمد الخبو، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، ط١، دار صامد للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

(٢) ينظر: الصادق قسومة، علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة)، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٢١١.

(٣) زروقي عبدالقادر، خطاب السرد وهوية الأجناس, مجلة الأثر, الجزائر, العدد٢٢, جوان٢٠١٥م, ص ص١١٩،١١٨.

الإقلاع من جدة هو الساعة١١,٥٥ قبل ظهر يوم الثلاثاء، ثم تأخر إلى الساعة ١,٣٠ لأن ولي عهد الدنمارك كان معنا في الرحلة، ويظهر أنه كان قادماً إلى جدة على نفس الطائرة التي أقلتنا من جدة، فاقتضى الأمر أن **يرتاح قليلاً في مطار جدة من عناء مواصلة الرحلة في الحال. وبعد نصف ساعة من إقلاع الطائرة الاسكندنافية من جدة كانت وجبة الغداء بين أيدي المسافرين..."**[(١)].

إننا من خلال هذا السرد نتبين جليّ التعالق بين الكتابة وظروف الكاتب، فهذا السرد يعلن أن التأليف استجابة لرغبة كانت تنتاب الكاتب حيناً وتحيّن فرصة مناسبة حيناً آخر، ومن هنا فإن جملة من نصوص المدونة يكتنفها السرد من حدّيها، فهي تبدأ بالسرد وتنتهي به، ولعل هذا النوع من النصوص هو الذي تتجلّى فيه الوظيفة الفنية التي تحمل في تلفظها قيمة مخصوصة. وهكذا فإن السرد بوصفه مادة ضرورية في بناء الخطاب يمثل الشكل الأول لنقل المذكرات، وفيه يكون الراوي حاضراً يقوم بمهمة السرد الذي يمكّنه من السيطرة على صياغة الخطاب والتحكم في تشكيل مقاطعه[(٢)]. وغالباً ما يحوي السرد في هذا الجانب مقاطع طويلة أو قصيرة تمد القارئ بمعارف تاريخية مهمة، كما جاء في رحلته إلى البرتغال؛ إذ يقول:" **وانتهينا إلى شاطئ البحر الذي تشمخ عليه قلاع وآثار قديمة. وتمثال ضخم يرمز لماضي البرتغال، وقد صورته خارطة منحوتة على الأرض تحت التمثال في ميدان فسيح خارطة بارعة من الحجر والنقوش تمثل نشاط البرتغال في البحار، وفي دنيا الاستعمار بعد أن فتح باب الرجاء الصالح قبل أربعة قرون وتسلل الاستعمار منه إلى أطراف**

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ١٢٣/٢.

(٢) ينظر: رجاء العبيدي، في إنشائية القصة المثلية (قراءة نقدية لنافذة من التراث الأدبي)، ط١، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع٢٠١٣م، ص٥٥.

الشرق الأقصى وأطراف الجزيرة العربية. ثم تكاثر الاستعمار وتصارع سجالاً بين الهولنديين والبرتغاليين والبريطانيين حتى تقلّصت البرتغال في قوقعتها كما تقلصت بعدها وأخيراً بريطانيا التي كانت عظمى. وتجولنا طويلاً في الشاطئ ومحتوياته بين عدد من السواح"(١).

ومن هنا فإن النظر في وضعية الخطاب أي خطاب المذكرات يوقفنا على مفارقة هي أن السرد يبدأ مهمته داخل تجربة الكاتب التي تعيد تصوير الماضي، وهكذا فإن الزمن داخل الخطاب هو ما يحيل إليه السرد، في حين أن السرد هو الذي يشكل تلك التجربة الإنسانية، وعلى هذا الأساس فإن خطاب المذكرات لا يمكن وعيه إلّا ضمن أفق الزمن، بوصفه-أي الزمن-" الأكثر تجلياً في الحكي، وأكثر العناصر تعقيداً وإشكالية"(٢).

إن خطاب المذكرات في كتاب" من ذكريات مسافر" مرتبط أشد الارتباط بالرحلات المنجزة، فكلما ازدادت رحلات توفيق وتشعبت اتجاهاتها تقدمت المذكرات، واكتمل بناؤها وتشكلها. ومن هنا يمكن القول إن الرحلة إغراء واستدراج لجنس أدبي مضمّن ـ بدأت شمسه تشرق ـ هو المذكرات، غير أننا لا يمكن أن نصل إليه إلا بعد قراءة السرد الرحلي بوصفه الأساس الذي انبنى عليه خطاب المذكرات، فأصبح فيما بعد الإطار الناظم لتاريخ الشخصية/ توفيق وموقفها من العالم الذي عاشت فيه، بل هو المحرك على السرد. يقول:" **ذهبت إلى أقصى الشرق ورجعت بعد بضعة وعشرين يوماً قضيتها بين الطائرات والمطارات، ومسافات بعيدة أو قريبة من كل بلد لآخر، وأصناف كثيرة من الناس والنمو والعمران والعادات**

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ٢/٧٥.

(٢) ضياء غني لفتة، وعواد كاظم لفته، سردية النص الأدبي، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٠م، ص٤٣.

والتقاليد، والجد والهزل، ومن الأديان"[١]. وإذا كان هذا السرد يمكن أن يبين الإطار الذاتي لتلك النصوص فإنه في الوقت عينه يكشف أيضاً عن صاحب النصوص، وقد تقاطعت علاقاته الفكرية والسياسية والاجتماعية أو تناقضت مع أطراف متعددة.

يقول أيضاً: "**ولقد أمضينا سبعة أيام كما أظن في جولات متلاحقة بين ربوعها الخضراء، وعلى طول المسافات بينها لم نكد نشعر بالملل؛ لأن كل ما حولنا من السهل إلى الجبل إلى النهر إلى مظاهر الحركة والنمو الحضاري يبدد الملل والتعب بعد سفر متلاحق كالذي اندمجنا فيه. ولعل هذه الظاهرة التي تكاد تتميز بها ماليزيا في المنطقة هي الطابع الإسلامي الغالب عليها حكومة وشعباً**"[٢]. فالخطاب المسرود هنا وهناك ترجمة عن شيء عاشه الراوي وعرف دقائقه، وهو في الوقت عينه يبرهن عن التزام الراوي المؤلف تجاه القارئ بالصدق فيما يقول، وما ينقل عن حياته، وأنه إنما يحدثه عن حياته هو فعلاً، ووقائع وقعت. خاصة إذا اعتبرنا أن الخطاب ملفوظ يمكن أن يشكل وحدة تواصلية مستقلة بذاتها[٣]، ولعل هذا الجانب يمكن أن يفتح وجها آخر من وجوه قراءة النص وتلقيه، فيكون صورة من حياته وتأملاته ومواقفه تجاه الأحداث، ولعل هذه أيضاً من العلامات الدالة على جنس المذكرات. ومن هنا تتحول رحلات توفيق إلى وثيقة تزخر بالمعلومات الصادقة عن المؤلف نفسه، وعن السياق العام الذي نشأت فيه. يقول توفيق أيضاً:" **كانت المدة**

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ١/ ١٤٧.

(٢) السابق، ٢٨/٢.

(٣) ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، ط١، دار الأمان، الرباط، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م، ص ٢٤.

المحددة لإقامتي في بوخارست طبق برنامج العلاج أربعة عشر يوماً دفعت المستحق عنها في جنيف وقدره ١٤٠٠ دولاراً عن مصاريف الفحوصات والعلاج بأنواعه، والسكن ووجبات الطعام في الفندق.. يا له من رخاء. لقد أمضيت بقية أيامي في عدة جولات بعضها مع المسافرين الذين تنظم إدارة الفندق برامج سياحية لهم بين كل يوم وآخر. وهكذا اندمجت ضمن خليط من الناس فيهم الأمريكي والإسباني والياباني وجنسيات مختلفة"(١).

وإذ كانت إضاءات هذا السرد، وطريقة السارد، وأشكال التعبير والكتابة، وضروب التلقي؛ تشير إلى الرحلة، فإن وضعية الخطاب، وموقع الراوي طي السرد، أو الصورة اللغوية النصية له؛ تدل على أن المكتوب يأخذ من سمات المذكرات، من حيث الخطة التواصلية والمقاصد التأثيرية، كل ذلك فرضته الظروف الحافة بإنتاج النص على الراوي، فطفق يبني خطابه السردي وفق سمات المذكرات. وإذا كانت العلاقة في النص السردي" تبتدئ من مؤلف وتنتهي إلى قارئ"(٢)، فإنّ ما ينبغي الاهتمام به هو النظر في تلك العلاقة بين النص والقارئ وبين الكاتب والقارئ وطبيعة المادة المسرودة من جهة تأثير السرد ذاته، وكذلك من جهة خصائص الخطاب العامة، والنظر في المؤشرات اللغوية الدالة على ذلك، وأغراض الكتابة ومقاماتها وسياسة القول، كل ذلك يمكن أن ينبني على مقبولية الخطاب وشروط تحقق سماته، وعلاقته بطبيعة القرّاء وثقافتهم بشكل عام.

٣-٢- الذاتية والنظام الأجناسي:

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ٦٥/١.

(٢) رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م، ص ٢٧.

لقد مكنتنا نصوص هذا الكتاب" من ذكريات مسافر" المتنوعة أجناسها من الوقوف على حضور الذات الكاتبة في نصِّها وسردها لجوانب متعددة من تجاربها الحياتية المتصلة بالآخرين، خاصة إذا ما علمنا أن محمد عمر توفيق كان قريباً ممّا يروي ويسرد، فقد كان حاضراً في ساحات الأحداث يعيش عجيبها وغريبها؛ لذا فقد جاء تصويره وسرده ملونين باستمرار بألوان من واقعه المعيش. وبصرف النظر عن الغرض الأساس للكاتب من وراء كتابة نصه، فإنه قد أمدنا بأشكال متباينة من السرد الذاتي، وإذا كانت مقتضيات المقام السردي– أحياناً–لم تسمح له بالتوسع في مضامين هذا الجنس أو ذاك، فإنها قد أضحت في الوقت عينه تقف على مشارف السرد الذاتي.

إن ما نعنيه بالذاتية هنا هو حضور الذات المتكلمة" عبر الصيغ اللغوية والقرائن والمؤشرات والمعينات الدالة على الحضور والاندماج والتجذير في الزمان والمكان"[(١)]. وإذا أمعنا النظر في كتاب" من ذكريات مسافر" رأينا أن الذاتية تتجلّى في مختلف أنواعها، بل إنها من أهم المقومات الأساسية التي تتميز بها نصوص هذا الكتاب، وعلى هذا الأساس فإننا سنهتم في هذا الجانب بوظيفة الذاتية في تلك النصوص التي تتمثل في تعبير الذات المتكلمة/ توفيق عن أحاسيسها ومشاعرها، فمن خلالها يمكن أن تقيم الذات المتكلمة علاقة عاطفية مع الخطاب المسرود[(٢)]. ولعل التعبير عن الأماكن التي زارها توفيق ووصفها من أهم المواطن الذي تنتظم فيها الذاتية، ذلك أنها–أي الأماكن– مدار الحكي. ومن هنا يمكن أن تتقدم السردية وتكشف عن ملامح المكتوب ونظامه الأجناسي. يقول توفيق:" **لم أكن أتوقع أن يتحقق**

(١) جميل حمداوي، سيميوطيقا التلفظ بين النظرية والتطبيق، ط١، د.م، ٢٠١٥م، ص٤٦.

(٢) ينظر: جيرار جينيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلي، ط٣، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٦.

الخيال، وكأننا على ميعاد. لقد وجدته هنا، في ألمانيا، وخُيِّل إليّ أنه في انتظاري بالأحضان، وبلا حساب في دنيا الهوى والعناق(...) ثم منذ أظلتنا سماء ألمانيا وأقلتنا أرضها لم نعد نرى السماء والأرض إلّا كالخيال، السحاب فوقنا والسحاب الأخضر يكسو الأرض كلها(...) لقد بدا أي كوخ هنا أرقُّ وأحلى من أي كوخ تصورته في حلمي القديم(...) لقد وددت أن أعيش في عالم كهذا ملؤه الله والحب"(١).

إنّ حكاية توفيق مع هذه الذكريات ومصادر ثقافته هي بالفعل قصة مرحلة من حياته، كان يتحيّن الفرصة لنشرها وإعادة رواية ما يشتهيه من مقاطعها ويتلذذ بدقائق الحديث في شؤونها، وقد كان هاجس الذكريات وإثارة الجوانب الذاتية ثم ولعه المستمر بالكتابة ذخائر مهمة تمده بأساليب متنوعة من السرد الذاتي. ولعل هذا الوصف للمكان يمكن أن يوجه أفق انتظار القارئ للنص، وعلى هذا النحو يتضح لنا أن موضوع الوصف يجعل الذات تلتف حول نفسها على مستوى الحضور والمعايشة. وبذلك تندرج هذه الذات كلها في نص سردي يروي تجربة شخصية فردية في التنقل والسفر بكل ما فيها من معاناة ولذائذ وشعور بالغربة والشوق والحنين. وإذا كان محمد عمر توفيق في هذه الرحلات التي أنجزها حريصاً على أن يصف بدقة الأماكن التي ارتحل إليها فإن المساحة التي تحتلها تلك المذكرات وموقعها من السرد تؤدي دوراً مهما في تحديد دلالات السرد وأبعاده الذاتية، خاصة إذا ما علمنا أن هذا السرد لم يكن على شاكلة واحدة، فقد بدا لنا منذ مستهل هذه الدراسة أن المكتوب كان في مهب عوامل من الاضطراب الأجناسي، وأن الكاتب أيضاً كان محل تجاذب بين الرغبة في تدوين رحلاته، وسرد التجربة الذاتية.

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ١/١١٠.

ومن هنا فقد انساق محمد عمر توفيق طواعية أو كراهية وراء النظام الفكري والثقافي والأعراف الكتابية التي تفرض نفسها على نصه، وعليه فإن هذه النصوص ليست مجرد إخبار عن رحلات توفيق أو جزء منها، وإنما في جوهرها سرد لمغامرة حياتية خاضتها الذات الكاتبة، ورغبة من الكاتب نفسه في مشاركة القراء في معرفة تفاصيلها والكشف عن قيمتها التعبيرية في بعدها الإنساني المطلق. ومن هنا أيضاً فإن الوظيفة التقويمية التي تنهض بها هذه النصوص تجعلنا نُقِر بشكل كبير أن الكاتب لم يكتب لنفسه، وإنما للتواصل مع عدد غير قليل من المتلقين. وهكذا يبدو لنا وجه من وجود التفاعل بين الذاتية والنظام الأجناسي. يقول توفيق:" **وتقع الشلالات في قطاعين أحدهما كندي والآخر أمريكي في أطراف نيويورك(...) ما أبدع الشلالات حقاً، وبالأخص في القطاع الكندي، في دويها الصاخب، وما يتطاير عليها كغبار السحاب، وتدفق المياه منها عبر مرتفعات جبلية مستديرة– سبحان من سوّاها– إلى مستوى البحيرة التي يذهب الماء فيها بطيئاً لأغراض السقيا(...) الحق أنها منظر رائع يرمز لمن وراء هذا الخلق الكوني العظيم، على تفاهة الأرض وكل ما عليها**"(١).

يحضر في هذا المقطع الجانب الذاتي من خلال الرؤية الخاصة تجاه المكان مقالاً ومقاماً، غير أن الراوي توفيق يتكلم باسمه ويسرد لغيره، وأن الصوت السردي يتميز بحضور تفاعل بين الذات والراوي الذي هو مصدر المعرفة الوحيد؛ "كون الإنتاج الحكائي تمثيل لرؤية وتصور للعالم كما يتحقق من خلال تجربة خاصة"(٢)، ولكنه–وإن

(١) السابق، ١١١/٢.

(٢) سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٦.

نظر إليه من خلال ذاته- وصفه وصفاً ذاتياً، إلا أنه استطاع أن يؤطر الملفوظ ويحقق مرجعيته التواصلية. يقول توفيق في موضع آخر:" **وفرغت من قراءة الصحف وفتحت نافذة الطائرة، وإذا على الأفق ضوء كالفجر ثم الإسفار. ثم إذا الشمس التي غربت خلف الطائرة قبل نحو أربع ساعات قد أشرقت في واجهتنا بعد الثامنة والنصف بتوقيت لندن(...) كان الثلج يكسو الأرض بحراً وسهلاً وجبلاً، وفي صور شتى لعلها كالحة، ولكنها رهيبة كالسكون الخاشع الذي يلوح كأن شيئاً يتحرك فيه هنالك على مشارف الثلج الذي يكسو المباني وأطرافها ومدارج الطائرات والسيارات وكل شيء هناك**"(١).

إن اندهاش الذات وانبهارها بمنظر المكان المُرتحل إليه هو الذي يولد السرد، وهذا ما جعلها تقدم لنا نصاً يحمل في طياته أبعاداً جمالية من منظورها الخاص. إن هذا الوصف لا نتبينه في خطاب الرحلة في نصوص توفيق فحسب، ولكن نتبينه في الدور الذي يؤديه الخطاب الذاتي من خلال تطعيم الرحلة بسمات من أجناس الأدب المقاربة وخاصة المذكرات، التي تجلت بصورة خاصة في تحفيز الوظيفة التقويمية لهذا الجنس أو ذاك. وهنا يبدو لنا وجه من وجوه حوارية الرحلة. وهكذا فإن هذه العوامل التي تبرز اعتبارنا تدخلات الذات مظهراً من مظاهر التحديد الأجناسي، فهي في نهاية الأمر ليست سوى تكريس لخضوع الحكاية المسرودة لذاتية الكاتب. ومن هنا فإن الخطاب قد يتشكل بين حين وحين في خضمّ الحديث عن الذات وتجاربها، بل إنّ الكتابة قد تمكّن صاحب الخطاب من التعبير عن أحاسيسه وعواطفه الخاصة.

إن هذا النسق الذاتي هو الذي يمنح المشروعية لانتظام هذين الجنسين أي الرحلة والمذكرات؛ لذا يمكن اعتباره الشكل الضامن لمشروعية السرد، بل هو الرحم

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ١١/٢.

الذي تتناسل منه نصوص جديدة تسهل نسبتها إلى هذا الجنس أو ذاك، وتخضع لروح التلقي، ويظهر الراوي بوصفه وسيطاً بين هذه النصوص ومتلقيها يمكن أن يسهم في تحديدها وانتظامها الأجناسي. ولعل هذا يفتح المجال أمام الناقد" لكي يدرج النص في سياق الإبداع العام، وأن يضيف إليه ما يجعله يحقق مقروئيته ومفهوميته في سياق ثقافي واجتماعي محدد"(١). إن السرد في كتاب "من ذكريات مسافر" انشطر بين حلقتين هما الرحلة والمذكرات، تبدو الصلة بينهما واضحة، ولعل معرفة هذه الصلة لم تكن وليدة اللحظة، وإنما هي موضوع مخصوص أثارته الجوانب الذاتية التي طغت على السرد، فالذاتية والحالة تلك لا يمكن لها إلا أن تندرج في سياق ناظم لتكون شكلاً سردياً له وظيفته. يقول توفيق:" **ظننت أنها ستكون تجربة عنيفة أن أظل وحدي في ميونيخ في انتظار الأمتعة الغائبة من برلين. وأخذت أتصور أنه قد يطول الانتظار، وربما اقتضى الأمر الدخول في معاملة تدور بين ميونيخ وبرلين موضوعها الأمتعة. فمن يحل الإشكال في لغة المعاملة أو أي كلام هام لا يجدي فيه إلا اللسان الضليع؟ هذا بالإضافة إلى مشكلة الوحدة التي قد لا تطاق في هذه الأثناء**"(٢).

فالسارد هنا قد تلوّن صوته بلون القلق والمأساة والشعور بالوحدة. إن الذاتية هنا تبدو لنا مِحْضَنة يخرج منها الخطاب الذي يشبه السديم، وبذلك يغدو هذا الكتاب" من ذكريات مسافر" مرتعا خصباً لتعدد الأجناس لعل أظهرها –إلى جانب الرحلة– المذكرات، التي طبعتا الذاتية بميسمها الخاص في البناء والأساليب والميثاق،

(١) محمد القاضي، في حوارية الرواية "دراسة في الرواية التونسية"، ط١، دار سحر للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٥م، ص ٦.

(٢) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ١/١٠٠.

كما فاضت عليها في احتضان الأحداث ذات الصلة بحياة الكاتب. وإذا كان محمد عمر توفيق في سرده لم يكن وفياً إلى حدٍ ما للتعاقب الحدثي، فإنه في الوقت عينه قد تناول شذرات من حياة ذاتية تخصه هو سعى فيها إلى ذكر أهم مراحلها منذ بداية ارتحاله إلى وقت الكتابة. غير أن هذا السرد كان ملوناً باستمرار بنزعة ذاتية هيمنت على تلك النصوص.

إن منطق الذاتية والتحديد الأجناسي في كتاب "من ذكريات مسافر" قد لا يسعفنا كثيراً في إبراز جنس المذكرات بالتحديد، فلا يستقيم للقارئ في هذا الجانب إلا إذا تأول النصوص على أساس رمزي، فقد يرى فيها عندئذ تعبيراً عن تحول جذري في موقف الشخصية/ توفيق من تلك الأحداث التي عاشها والظروف الحافة التي دعته إلى إخراجها بين دفتي كتاب. يقول توفيق:" **بدأت أشعر بالحنين إلى بلادي. إن كل شيء هنا رائع وجميل حقاً. غير أني تذكرت التراب في بلادي، وأحسست أني أهيم حباً فيه وحنيناً إليه. الناس هنا في منتهى الأناقة، والنظام طابع الحياة ربما في كل شبر من الديار التي مررنا بها مرور الكرام في ألمانيا وهولندا. لأناقة الزهور والطبيعة وأناقة الإنسان والتقدم والعمران(...) إنها عقدة الوطن والتراب في نفوسنا، لا تحلها المتعة أو الاسترخاء(...) إنني في حالة سأم من الحلو والشِّعر والجمال وتفوق الحياة. إنني أشعر بشيء كالكرب يتجسد في أعصابي ضد كل الديار إلا التي أشتم رائحة التراب فيها وأنا على مسافة أميال**"[1].

إن دخول الذاتية في تكوين رحلات توفيق ثابتٌ في المدونة المدروسة، إلا أن هذا لا يعني اتسام العلاقة بين هذين الجنسين/ الرحلة والمذكرات من الخطاب بالسكون أو الاستقرار، بل هي متحولة وخاضعة إلى ما يطرأ على النظام الأجناسي

(١) السابق،١/١٣٣،١٣٤.

من تغير وتطور. وهكذا تصبح العلاقة بين الذاتية والتحديد أو الانتظام الأجناسي يحكمها في هذه المدونة منطق جدلي بين المكونات الذاتية ومقومات الخطاب السردي باعتبار تميزه بسمات مخصوصة يمكن لهذا الجنس أو ذاك أن ينهض عليها؛ لذا فإن كل خطاب ملفوظ يكتشف دائماً موضوع توجهه ، ويدخل في تفاعل حواري في مجال موضوعه، ولكي يشق طريقه نحو معناه فإن عليه أن يجتاز مجموعة من التعبيرات ويكون على وئام مع بعض عناصرها وعلى اختلاف مع بعضها الآخر ومن خلال هذا الصراع الحواري تتشكل صورته(١). ومن هنا فإن الذاتية والحالة تلك لا تشهد اضطراباً في مستوى انتظام الأجناس فحسب، وإنما كذلك في مستوى انتظام الخطاب الرحلي نفسه، ولا تقاس بمدى حضور الراوي وهيمنة ضمير المتكلم على السرد فحسب، وإنما يقدر تفصيلها الحدثي وتصويرها لجوانب مختلفة من حياة الكاتب وعلاقته بالآخر.

٣–٣– السرد بين التوثيق التاريخي والأدبية:

قد يبدو من المفارقة القول إن المزاوجة بين التاريخ والأدبية في كتاب "من ذكريات مسافر" من المقومات الإنشائية الأساسية في السرد، ومن هنا يمكن أن نتبين كيف يقوم السرد في هذه الرحلات على معادلة طرفاها التاريخ والأدبية، ووقودهما السرد، ويعتمدان على الذاكرة الخاصة" التي تتفاعل معها في ممارسة فعل التخييل، وهي ذاكرة متعدّدة المراجع، متنوعة الروافد غنيّة الأبعاد والدلالات"(٢). فتلك

(١) ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط١، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٨٦ ، ٨٧.

(٢) حسين خمري، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، ط١، منشورات الاختلاف، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠١م، ص١٠٣.

النصوص قد يستبد بها السرد التاريخي قليلاً أو كثيراً من خلال حرص الكاتب على التوثيق ونزعته التفسيرية، وقد ينحو السرد منحى أدبياً فيغلب عليه الجانب الذاتي ذو النزعة الأدبية، وتهيمن عليه اللغة التعبيرية ويتجلّى الانفعال من خلال التعاقب الحدثي، وتنكشف عواطف الكاتب تجاه موضوع كتابته. يقول توفيق: **"وإن كانت صفحات الكتيب تروي وتؤرخ وقائع الماضي سواء ظهرت فيه أم بعده، فإن ما تحدثت فيه شيء من انطباعاتي خلال أيام في أسمرا، فما أحسبها صالحة للنشر باسم التاريخ إلا بتسامح كبير"**(١).

وإذا انطلقنا من قول جورج ماي" إن التمييز بين الحياة العامة والحياة الخاصة أمر نظري. فإذا قضى المرء فترة من حياته وإن تكن وجيزة في عصر مضطرب شيئاً ما، وهل كل العصور إلا مضطربة؟ فإنه يتعذر عليه أن يجعل حياته بمنأى من التاريخ"(٢)، جاز لنا القول إن الكاتب محمد عمر توفيق يحرص في فاتحة نصوصه الرحلية تلك على بيان ظروف الكتابة ومبرراتها، وهي مبررات ذاتية حيناً تتصل بعلاقة الذات الكاتبة بذاتها، ومبررات خارجية حيناً آخر تكشف عن تفكير الذات في الآخر والعالم المحيط ووعيها به. لذا فإن محمد عمر توفيق في تلك النصوص لا يتردد في الإدلاء بشهادته على ما عاشه من أحداث عامة وخاصة، ولعله بذلك استطاع أن يقدم جزءاً من حياته الخاصة وهو بعيد عن أرض الوطن، كتبها بنفسه على غرار المذكرات في ضرب من الماضي واستعادة لمراحل حياته بدءاً من رحلته الأولى خارج بلاده حتى عودته إلى أرض الوطن. يقول توفيق: **" أكتب هذا بعد أن أمضيت في ميامي سبعة أيام. ولقد كنت حريصاً على أن أكتب كل يوم في نهايته، ثم تدور بي**

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ١/ ٨.

(٢) جورج ماي، السيرة الذاتية، ترجمة: محمد القاضي وعبدالله صولة، ط٢، النادي الأدبي بأبها، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١م، ص ١١٩.

عجلة الحياة في الحل والترحال ويستغرقني ومض لمحاتها، وكأنما أعجز عن متابعتها، أو أكسل فلا أكتب، وتتراكم عليّ الأيام والذكريات، وأحتفظ أحياناً بسجل غير منظم فيه ما يشبهه الرموز أو رؤوس أقلام كما يقال. وهناك رحلات ما تزال مقبورة في سجل كهذا أو في خزانة النفس، ورحلات بعدها كتبتها؛ لأنها صادفت نشاط الفكر والقلم والترتيب إجمالاً شبه مفقود في حياتي"(١).

وما هذه المواضع من نصوص توفيق إلاّ نماذج ممّا يقوم به التاريخ من إعادة تشكيل الخطاب لما يتضمنه الجانب الأدبي، وانتقاله من وضعية المعلومات التاريخية والتوثيقية إلى الكون الأدبي الذي تنبض شخصياته بضروب شتى من الانفعالات والعواطف، وتعيش ألواناً متباينة من الصراعات والنزعات في بعدها الإنساني العميق. وهكذا استند خطاب الرحلة في كتاب "من ذكريات مسافر" إلى جانبين: الأول العمل التوثيقي الذي يفتقر أحياناً إلى الدقة وينفلت من سلطة التوثيق ثم يعود إليها باستمرار، والثاني هيمنة الجانب الأدبي الذي سعى بدوره إلى تحديد ملامح الجنس الأدبي في هذا الكتاب، وكشف عن سماته السردية والمضمونية كما بيّنا في بداية هذا البحث.

ومن هنا فإن هذه الرحلات ظلت محافظة على لوازم السرد، أي تلك السمات الأجناسية التي تشد الرحلة من خلال التوثيق التاريخي والأدبية إلى الجنس الذي تتقاطع معه وهو المذكرات، والراوي هو الذي يتصرف في هذه اللوازم أحياناً ويتقيد بها أحياناً أخرى، ومن ثم فإن هذا المستوى يمثِّل بخطاب الرحلة جانباً من جوانب التجديد أو التقليد في أدبية السرد، خاصة إذا اعتبرنا أن للأحداث دوراً مهماً في

(١) محمد عمر توفيق، من ذكريات مسافر، ٢، ١٣٣.

التدوين والكتابة[1]. وفي إطار هذا التآلف بين التاريخي والأدبية يمكن الكشف عن دور هذا السرد بحسب مقاصده ونتائجه وغاياته على مستوى الدلالة والتعبير، وهذه المقاصد والغايات تتمثَّل في جانب رئيس منها في سعي تلك النصوص الرحلية للتطابق بين التوثيق التاريخي والأدبية في محاولة جادة لإنتاج جملة من الدلالات الاجتماعية، وبذلك استطاع الكاتب/توفيق الاستفادة بين الملفوظ التاريخي والملفوظ الأدبي في آن.

وإذا اعتبرنا أن تلك الرحلات مثّلت جانباً من التوثيق التاريخي أو جزءاً منه لحياة الكاتب/ توفيق، فإن السمة أو المنزلة التي احتلّتها هي التي جعلتها عملاً إنشائياً يدعم علاقة الذات الكاتبة بالأحداث التي تعرّضت لها، ويغنيها بألوان من السرد متنوعة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار منزلة السارد الأدبية جاز لنا أن نقول: إن السرد في هذه الرحلات يمكن أن يجاوز المخاطب الخاص إلى عامة القراء، بل يحوِل هذا المخاطب إلى أداة يستعملها الأديب ليحدثنا عن شخصيته الأدبية، وعن صلته ومنزلته بمعاصريه، وليرسم من خلال ذلك الصورة التي يريد إثباتها عن نفسه في أذهان القرّاء، وهنا يبدو جلياً وجه من وجوه المذكرات.

وهكذا فإن كتابة التاريخ تنطلق بالضرورة من حاضر الكتابة؛ ذلك أن الخطاب لا يمكن له الاستقلال عن الحاضر، وإلّا فإن تصور التاريخ محال[2]. يقول توفيق في رحلة أنجزها إلى ألمانيا:" **لقد تصورت ما كان يبدو على وجوه من عرفناهم من الألمان كلما تحدثوا عن الماضي أو أشاروا إلى تمثال شامخ لذكرى انتصار ألمانيا**

(١) ينظر: خليل إبراهيم الزوبعي، ضمن الكتاب الجماعي (المذكرات الشخصية مصدراً لكتابة التاريخ)، د.ط، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١م، ص ص٥-٧٥.

(٢) ينظر: جورج لوكاش، الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد علي، د.ط، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م، ص ٦٣.

على فرنسا ١٨١٧م، كان يبدو أن نفوسهم مضغوطة على ما يشبه البخار، وملامحهم وألسنتهم تنطق بمعنى الاحتدام المرير. وتصورت لو هبّ الألمان اليوم أو بعد اليوم فجأة (...) ثم طردوا الروس واحتلوا ديارهم، فماذا ترون أنهم فاعلون بهم وفي أعصابهم كل هذا الحمى وكل هذا التاريخ. ولقد كان حظهم في الحرب العالمية الأولى نفس الحظ وهو الهزيمة، ثم انتصروا في بداية الحرب العالمية الثانية..."(١).

لقد بدا هذا السرد محملاً بوعي تاريخي متعدد الأبعاد، فقد كان من جهة دالاً على وعي بمختلف الأحداث والحروب التي دارت بين تلك الدول وهزائمها ومآسيها الكبرى، وكان من جهة الكتابة الأدبية دالاً على هاجس السرد الذاتي الذي يدور في فلك القصص المرجعي. ومن هنا فإن مستوى السرد هو الذي يتيح لنا دراسة علاقات السردية(٢)، وكيفية اندراج الخطاب ضمن إطار الأدب وحدوده. فالكاتب توفيق قد بنى عوالمه السردية في هذا المقطع على أحداث تاريخية، ولعل هذا عائد إلى رغبته في إثراء تجربته السردية بجوانب من التاريخ، ورصد ما يمكن اعتباره مقاصد للمؤلف في علاقته بالواقع الاجتماعي والسياسي ومدى إدراكه لعوالمه. ومن هنا تغدو تلك الرحلات حقلاً للوصف والتحليل والكشف عن المواقف الذاتية تجاه الآخر.

وتبدو أيضاً في محاولة جادة في التقاط ما هو جوهري وجدلي في علاقة الإنسان بالتاريخ؛ لتقديم صورة لهذه العلاقة ضمن إطار الأدبية؛ لذا فإن حضور التاريخ ضمن تلك الرحلات هو الذي يمنحها بعداً جمالياً يدفع الكتابة السردية إلى دخول حرم

(١) محمد توفيق، من ذكريات مسافر، ٨٨/١.

(٢) ينظر: محمد القاضي، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ط١، دار مسكلياني، تونس، ٢٠٠٣م، ص ٥٠.

الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه، بل إنه يعيد دمجها في هوية سردية جديدة(١)، وهو كذلك يجعلها في علاقة تفاعلية من خلال تلك الأحداث المتحققة في فترة حياة الكاتب توفيق. ولعل هذا اللون من السرد يفرض على القارئ تعاملاً خاصاً مع تلك النصوص، ذلك أنها لا تحكي تلك الأحداث لمجرد الإخبار بها أو الإعلان عن تحققها، فللنّص السردي دائماً مقصدية تتجاوز في الغالب المادة الحكاية، وعلى القارئ العام الربط بين الواقع والمادة المسرودة، وبذلك يمكن أن نستحضر العلاقة بين التوثيق التاريخي لتلك الرحلات والأدبية.

(١) ينظر: عبدالله إبراهيم، التخييل التاريخي: السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، ط١، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٢٥.

الخاتمة

لقد تناول هذا البحث التداخل بين المذكرات والرحلة، وقد خصصنا لذلك كتاب" من ذكريات مسافر" لمحمد عمر توفيق" مدونة يمكن أن تكون مجالاً رحباً للتطبيق، واستخلاص أهم مقومات هذا الجنس أو ذاك. وهكذا كان همّنا منذ مستهل هذا العمل البحث في قضية التداخل الأجناسي بين الرحلة والمذكرات في هذا الكتاب؛ بوصفه نموذجاً يمكن أن يزيل الحُجُب عن إشكالية التحديد الأجناسي، وأنا أنطلق بقول المؤلف/توفيق عن تلك النصوص الرحلية الذي أثّر في مسار قراءتها، ثم أقوال بعض النقاد والباحثين الذين أدرجوا تلك النصوص ضمن إطار جنس الرحلة، ومن خلال ذلك كله استطعنا أن نكشف عن التداخل الأجناسي بين الرحلة والمذكرات والوقوف على أهم سمات هذا الجنس أو ذاك. كما كشفنا عن قدرة الكاتب/ توفيق على الإمساك بآليات الكتابة في الجنسين وانعقاد الميثاق السردي الذي يدل على حضور المذكرات.

وعند دراسة البنية السردية لتلك النصوص الرحلية استطعت أن أكشف عن موقع المذكرات بوصفها خطاباً مضمناً، وكان ذلك من خلال النظر في مراحل وأقسام تلك الرحلات التي جاءت مقسمة بحسب رؤية المؤلف ثلاثةَ أقسام هي: أيام في أسمرا، وفي بلاد المارك والقولدر، وبين الشرق والغرب، ثم عرضت لكل قسم وأشرت إلى أن الحبكة في تلك الرحلات تنتظم من خلال هذه الأقسام بوصفها مقاطع سردية كبرى تتعاقب فيها مسارات الأحداث ومتغيراتها. وقد كان الجامع بين تلك الأقسام الثلاثة هو الانسجام وهيمنة جانب التدوين للتفاصيل الدقيقة، وقد مكّنتنا دراسة البنية السردية من الوقوف على صورة الذات الكاتبة، فبدا لنا وجه من وجوه المذكرات. وهكذا نقلت تلك البنية السردية جزءاً من حياة إنسان تعرّض لأحداث متنوعة.

لقد كشفت وضعية الخطاب السردي عن تلك المادة الأدبية التي كتبها توفيق

تحت مظلة الرحلة، وعن مكوناتها وخصائصها الفنية والمضمونية، فقد بيّنا مرّات عديدة حضور المذكرات واندراجها ضمن الخطاب الرحلي. وبناء على ذلك فإن خطاب المذكرات ارتبط بالرحلة، وقادنا ذلك إلى النظر في الذاتية والنظام الأجناسي، فكان من الضروري أن تتجلّى الذات الكاتبة في ساحات الأحداث المروية، ولعل هذا الجانب أسهم في إثراء تلك الرحلات بألوان من السرد الذاتي؛ إذ استطاع الكاتب الجمع بين رغبة التدوين وسرد التجربة الذاتية. كما كشفت هذه الدراسة عن تلك المفارقة التي أحدثها السرد من خلال المزواجة بين التوثيق التاريخي والأدبية، ومن هنا فقد جاءت تلك النصوص الرحلية التي كتبها محمد عمر توفيق تتراوح باستمرار بين ما هو تاريخي وأدبي. وبات السرد في تلك الرحلات يستند إلى الجانب التاريخي، فكان محملاً بوعي تاريخي متعدد الأبعاد، في حين أن الجانب الأدبي سعى بدوره إلى تحديد ملامح جنس الخطاب من خلال السمات السردية.

لقد سعيت في هذا البحث إلى الوقوف على خصائص المذكرات في الخطاب الرحلي، وتبين لي قدرة الكاتب على التحرر من الضوابط الشكلية والمضمونية لخصائص الجنس الأدبي، ذلك أن الخطاب الرحلي كان مجالاً رحباً للتداخل الأجناسي والجمع بين شذرات متعددة من النصوص الأخرى المقاربة له. وهكذا كانت السمة الغالبة لرحلات محمد عمر توفيق في كتاب "من ذكريات مسافر" هي الاستثمار لبنى التداخل الأجناسي والحضور المتزامن لخصائص تلك الأجناس التي كان أظهرها الرحلة والمذكرات.

المصادر والمراجع والبحوث والمقالات

أولا: المصادر:

توفيق، محمد عمر، من ذكريات مسافر، ط١، دار تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ج١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

توفيق، محمد عمر، من ذكريات مسافر، ط١، دار تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ج٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

ثانياً: المراجع:

إبراهيم، عبدالله، التخييل التاريخي: السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، ط١، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢م.

إبراهيم، عبدالله، موسوعة السرد العربي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.

إيغلتون، تيري، نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ديب، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، دمشق، ٢٠٠٦م.

باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط١، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م.

بنخود، نور الدين أحمد، السرد والتاريخ والتخييل، ط١، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

بنخود، نورالدين، فن السيرة في التراث العربي، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧هـ.

التمارة، عبدالرحمن، مرجعيات بناء النص الروائي، ط١، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

جنيت، جيرار، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الحلي، ط٣، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٣م.

حامد، عبدالله، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، ط١، نادي أبها الأدبي، ١٤٢١هـ.

حليفي، شعيب، الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

حليفي، شعيب، مرايا التأويل (تفكير في كيفية تجاوز الضوء والعتمة)، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م.

حمداوي، جميل، سيميوطيقا التلفظ بين النظرية والتطبيق، ط١، د.م، ٢٠١٥م.

الخبو، محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، ط١، دار صامد للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٣م.

خمري، حسين، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، ط١، منشورات الاختلاف، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠١م.

رداوي، محمود، الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر، ط١، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

الزوبعي، خليل إبراهيم، ضمن الكتاب الجماعي (المذكرات الشخصية مصدراً لكتابة التاريخ)، د.ط، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١م.

عبيدات، زهير محمود، سلطة التاريخ (دراسات في الرواية العربية الحديثة)، ط١، فضاءات للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٢م.

العبيدي، رجاء، في إنشائية القصة المثلية (قراءة نقدية لنافذة من التراث الأدبي)، ط١، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع٢٠١٣م.

القاضي، محمد، تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، ط١، دار مسكلياني، تونس، ٢٠٠٣م.

القاضي، محمد، في حوارية الرواية "دراسة في الرواية التونسية"، ط١، دار سحر للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٥م.

القاضي، محمد، وآخرون، معجم السرديات، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، ٢٠١٠م.

قسومة، الصادق، علم السرد (المحتوى والخطاب والدلالة)، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

لفته، ضياء غنى، وعواد كاظم لفته، سردية النص الأدبي، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٠م

لوجون، فيليب، السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، تر: عمر حلي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

لوكاش، جورج، الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد علي، د.ط، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م

ماي، جورج، السيرة الذاتية، ترجمة: محمد القاضي وعبدالله صولة، ط٢، النادي الأدبي بأبها، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١م.

المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، ط١، دار الأمان، الرباط، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م.

مجموعة باحثين، قاموس الأدب الأدباء في المملكة العربية السعودية، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٥هـ، المجلد الأول.

مودن، عبد الرحيم، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر (مستويات السرد)، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦م.

ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.

يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

يقطين، سعيد، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م

ثالثا: البحوث والمقالات:

بنخود، نور الدين أحمد، الخطاب الترسلي في النص الرحلي، قراءة في رواية أديب لطه حسين، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، عدد ٤٥، شوال ٢٠١٧م.

روابنية،الطاهر، قراءة في التحليل السردي للخطاب، العدد الرابع، جامعة عنابة، جوان١٩٩٩م.

عبدالقادر، زروقي، خطاب السرد وهوية الأجناس، مجلة الأثر، الجزائر، العدد٢٢، جوان٢٠١٥م.

قطوس، بسام، شعرية الخطاب وانفتاح النص السردي في رواية إميل حبيبي، مجلة أبحاث، جامعة اليرموك، العدد الثاني، ١٩٩٦م.

Bibliography

First: Sources:

Tawfiq, Muhammad Omar, from the memories of a traveler, (in Arabic). 1st edition, Dār Tihama, Jeddah, Saudi Arabia, Part 1, 1400 AH / 1980.

Tawfiq, Muhammad Omar, from the memories of a traveler, (in Arabic). 1st edition, Dār Tihama, Jeddah, Saudi Arabia, Part 2, 1406 AH, 1986.

Second: References:

Ibrahim, Abdullah, Historical Fiction: Narrative, Empire, and the Colonial Experience, (in Arabic), 1st edition, Arab Publishing Corporation, Beirut, 2012.

Ibrahim, Abdullah, Encyclopedia of Arab Narration, (in Arabic) ,1st edition, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.

Eagleton, Terry, Theory of Literature, translated by: Thaer Deeb, (in Arabic), 1st edition, Dār Al-Mada for Culture and Publishing, Syria, Damascus, 2006.

Bakhtin, Michael, the novelist discourse, translated by: Muhammad Barrada, (in Arabic), 1st edition, Dār Roya for publication and distribution, Cairo, 2009.

Benkhoud, Nour al-Din Ahmad, Narration, History and Imagination, (in Arabic), 1st edition, Center for Arabic Language and Literature Studies, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, 1437 AH / 2016.

Benkhoud, Nour al-Deen, The Art of Biography in Arab Heritage, (in Arabic), 1st edition, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1437 AH.

Al-Tamara, Abdul-Rahman, References for Building the Narrative Text, (in Arabic), 1st Edition, Dār Ward Al-Ordoniya for Publishing and Distribution, 2013.

Janet, Gerard, The Discourse of the Story (a research on the methodology), (in Arabic), tr.: Muhammad Mutasim, Abdul Jalil

Al-Azdi and Omar Al-Hali, 3rd Edition, Al-Ikhtif Publications, Algeria, 2003.

Hamid, Abdullah, Travel Literature in the Kingdom of Saudi Arabia, (in Arabic), 1st edition, Abha Literary Club, 1421 AH.

Halifi Shuaib, The Journey in Arabic Literature (Naturalization, Writing Mechanisms, Discourse of the Imaginary), (in Arabic), 1st edition, Vision for Publishing and Distribution, Cairo, 2006.

Halifi, Shuaib, Mirrors of Interpretation (thinking about how to transcend light and darkness), (in Arabic) ,1st edition, Dār Al Thaqafa for Publishing and Distribution, Casablanca, 2009.

Hamdawi, Jamil, Semiotics of Pronunciation between Theory and Practice, (in Arabic), 1st Edition, 2015.

al-Khabu, Muhammad, The Fictional Discourse in the Contemporary Arabic Novel, (in Arabic), 1st Edition, Dār Samed for Publishing and Distribution, Tunis, 2003.

Khamri, Husain, The Imaginary Space: Approaches to the Novel, (in Arabic). 1st Edition, Al-Ikhtif Publications, Syrian Ministry of Culture, 2001.

Radawi, Mahmoud, Journeys and Their Personnel in Contemporary Saudi Literature, (in Arabic), 1st edition, Al-Farazdaq Commercial Press, Riyadh, 1416 AH / 1995.

Al-Zobaie, Khalil Ibrahim, within the collective book (personal notes as a source for writing history), (in Arabic), Baghdad, House of Wisdom, 2001.

Obeidat, Zuhair Mahmoud, The Authority of History (Studies in the Modern Arabic Novel), (in Arabic), 1st Edition, Spaces for Publishing and Distribution, Amman, 2012.

Al-Obeidi, Rajā, in the construction of the homosexual story (a critical reading of a window of literary heritage), (in Arabic), 1st edition, Carthage Library for Publishing and Distribution 2013.

al-Qāḍī, Muhammad, Analysis of the Narrative Text between Theory and Practice, (in Arabic) , 1st Edition, Dār Miskaliani, Tunis, 2003.

al-Qāḍī,Muhammad, in the Dialogue of the Novel “A Study in the Tunisian Novel”, (in Arabic), 1st Edition, Dār Sahar for Publishing and Distribution, Tunis, 2005.

Al- Qāḍī, Muhammad, and others, Dictionary of Narratives, (in Arabic), 1st Edition, Dār Muhammad Ali Al-Hami for Publishing, Tunisia, 2010.

Qasoumah, Al-Sadiq, Narrative Science (content, discourse and semantics), (in Arabic), 1st edition, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1430 AH / 2009.

Laftah, Diyā Ghina, and Awwad Kazem Laftah, Narrative of the Literary Text, (in Arabic), 1st Edition, Dār Al-Hamid for Publishing and Distribution, Amman, 2010.

Lejeune, Philip, The Autobiography (The Charter and Literary History), translated by: Omar Helli, 1st Edition, The Arab Cultural Center, Beirut, 1994.

Lucas, George, the historical novel, translated. (in Arabic), by: Saleh Jawad Ali, Baghdad, Ministry of Culture and Arts, 1978.

May, George, Autobiography, translated, (to Arabic) by: Muhammad Al-Qadi and Abdullah Soulah, 2nd Edition, Literary Club in Abha, Saudi Arabia, 2011.

Al-Mutawakkil, Ahmad, Al-Khattab and the Characteristics of the Arabic Language (A Study of Function, Structure and Style), (in Arabic), 1st edition, Dār Al-Aman, Rabat, 1413 AH / 2010.

A group of researchers, Dictionary of Literature, Writers in the Kingdom of Saudi Arabia, (in Arabic), 1st Edition, Dārat King Abdulaziz, Riyadh, 1435 AH, Volume One.

Moden, Abdul Rahim, The Moroccan Journey in the Nineteenth Century (Levels of Narration), (in Arabic), 1st Edition, Dār Al Suwaidi for Publishing and Distribution, United Arab Emirates, 2006.

Yakobson, Roman, Cases of Poetry, translated, (to Arabic) by: Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanouz, 1st Edition, Dār Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, 1988.

Yaqteen, Saeed, Analysis of the Narrative Discourse (Time, Narration, Focus), (in Arabic), 1st Edition, Arab Cultural Center, Beirut, 1997.

Yaqteen, Saeed, Said the narrator, The Anecdotal Structures in the Popular Biography, (in Arabic), 1st Edition, The Arab Cultural Center, Beirut, 1997.

Third: Research and Articles:

Benkhoud, Noor Al-Din Ahmad, Al-Khattab Al-Tursili in the Traveling Text, a reading in the novel by: Taha Husain, (in Arabic), Journal of Arab Sciences, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, Issue 45, Shawwal 2017.

Rwayiniyah al-Tahir, a reading in the narrative analysis of the discourse, (in Arabic), fourth issue, Annaba University, June 1999.

Abdul Qadir, Zarrouqi, Narrative Discourse and the Identity of Races, (in Arabic), Al-Athar Journal, Algeria, No. 22, June 2015.

Qatous, Bassam, The Poetics of Discourse and the Openness of the Narrative Text in Emile Habibi's Novel, (in Arabic), Research Journal, Yarmouk University, No. 2, 1996.

١٣٨١
١٩٦١

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of
Arabic Language and Literature

Vol : 9

Jul - Sep 2023